افتتاحية

مسؤوليتنا أمام لغتنا العربية (*)

الاستاذ الدكتور محيي الدين صابر
المدير العام

أصحاب المعالي الوزراء
معالي الاستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
أصحاب المعالي رؤساء الجامعات
أصحاب السعادة ممثلي الدول العربية
أصحاب السعادة أساتذة الجامعات والاساتذة العلماء والخبراء المشاركين
الأخوة السادة المدعوون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

ان واجبا أثيرا الىّ نفسي اداؤه، هو الترحيب بكم، والشكر لكم، بما أنتم أهلهما واحق بهما، على حسن استجابتكم للدعوة الى الاشتراك في ندوة مناهج اللغة العربية في التعليم العام، وعلى كريم عونكم عليها، اسهاما بالرأي واغناء بالحوار.

وانه من همي في هذا المقام، ان اشيد بما لقيته هذه الندوة من رعاية شاملة، وضيافة حفية، واستقبال كريم، تبادر بهما وبمثلهما المملكة العربية السعودية، الارض المباركة، مهبط الوحي، ومنبت العربية، فاتوجه بالشكر والتقدير مستحقين واجبين الى صاحب الجلالة الملك المعظم فهد بن عبد العزيز حفظه الله ورعاه وإلى ولي عهده الامين صاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن عبد العزيز، والى حكومته القادرة، والى شعبه الوفي.

وهنا ينبغي ان انوه بما تقوم به جامعات المملكة من حفاوة باللغة العربية وبالثقافة الاسلامية، وذلك تعبيرا عن العناية التي يوجهها اليهما معالي الاخ الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي، ونائب الرئيس الاعلى للجامعات الذي نحييه، ونشيد بجهوده الخيرة وعطائه الموصول.

(*) نص الكلمة التي ألقيت في افتتاح ندوة مناهج تعليم اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي (الرياض/أبريل ١٩٨٥).

والشكر فيما وراء ذلك مبذول وبحقه لمعالي الاخ الاستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ولكبار معاونيه على ما تم من اعداد لهذه الندوة، تخطيطا وتنفيذا.

والشكر في هذا السياق يتجه كذلك الى اللجنة التحضيرية والى اللجنة الاعلامية والى لجنة الاستقبال والعلاقات العامة، والى لجنة امانة السر، رؤساء واعضاء لجان، ذلك انه لولا سعيهم البار وجهدهم القادر، لما تيسر لندوتكم ان تجيء في هذه الصورة المشرفة، تنظيما وتسييرا.

على ان هذه الندوة مظهر من مظاهر التعاون الممدود، الذي ما فتئت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم توسع من وعائه، وتمد من اسبابه، بما تنظم من نشاط مع الجامعات والمؤسسات والهيئات العلمية والثقافية على امتداد الوطن العربي حول قضايا الفكر في مختلف المجالات.

وهكذا تجيء هذه الندوة عملا مشتركا بين المنظمة وجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ولقاء حول هدف جامع، هو الاحتفال باللغة العربية، وبالثقافة العربية الاسلامية، والقيام عليهما : تأصيلا وتنمية وتطويرا، وهو تعاون نحن به معتزون.

واني اذ اشيد في هذا السياق، بما تقوم به جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية من عمل صالح، وما تنهض به من رسالة عظيمة، في مجالات نشر اللغة العربية في الخارج، بتوجيه من معالي مديرها الاستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، فاني اشير الى الصلة الوثيقة بين هذا النشاط، وبين تقوية مناهج اللغة العربية وتنميتها، وهذا هو ما نأخذ باسبابه جادين ومثابرين، فهو الواجب القائم الذي لا يسقطه زمن، ولا ينتهي عنده جهد، ولا يتوقف دونه سعي.

أيها الاخوة المنتدون ...

لست في حاجة الى ان احدثكم عن اللغات، ومقامها، ودورها، في بناء الحضارة الانسانية، ولا عن اللغة العربية، وفضلها، فانكم، وانتم اساتذة هذه اللغة الشريفة وشيوخها، علمتم وعلّمتم ان اللغة العربية خلقت لغة عالمية، وهي تحمل في ذاتها وثيقة انتشارها، وحجة بقائها، بما استودعها الله كلامه القديم، القرآن الكريم، فتفردت بين اللغات بميزة التجاوز الاجتماعي، فلم تعد لغة قوم وجماعة، ولكنها اصبحت الى ذلك لغة عقيدة، فكانت لغة المسلمين أيا كانت لغتهم بقدر ما هي لغة العرب اهلها الاديين.

ومن هنا، فان مسؤوليتنا أمام لغتنا تفوت المسؤولية القومية، وتتجاوزها الى نطاق اسلامي وعالمي، وهذا ما يفسر العناية التي لقيتها الدراسات اللغوية في تراثنا، وهو أمر لم تحظ به لغة من اللغات، وذلك لارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم، وبالسنة النبوية الشريفة، وبالرسالة الاسلامية باعتبارها مستقر العقيدة والتشريع الاسلاميين؛ وهذه المسؤولية التاريخية، قائمة لا تسقط عن الاجيال العربية والاسلامية ما تعاقب الليل والنهار.

واللغة العربية اليوم، تتخذ مكانتها الدولية، سياسيا، كلغة عالمية في منظمة الامم المتحدة، وفي وكالاتها المتخصصة، وكلغة قومية، في منظمة الوحدة الافريقية، ويتدعم موقفها العلمي، وهي تتأهب للقيام بالتعبير عن منجزات الحضارة التكنولوجية، عن طريق تعريب التعليم الجامعي، ومراكز البحوث العلمية العربية، حتى يتم تعليم العلوم الطبيعية والحيوية والرياضية، باللغة العربية، التي تكون وسيلة انتاجها ايضا، وهكذا ندخل الى الحضارة التكنولوجية مشاركين ومسهمين، ونخرج من دائرة التخلف والتبعية ومحاولة المشاكلة والمماثلة، الى حقيقة المعاصرة والمفاعلة.

أيها الاخوة المنتدون ...

ان اللغة أي لغة، هي مناط الهوية، وقوام الذاتية، ومن هنا، فان الوهن أول ما يدرك امة يدركها في لغتها، وان أول قوة تصيبها، تصيبها فيها، وقد بدأ الاستعمار في قهر الشعوب باذلال لغاتها القومية واضعافها، وحجبها عن دورها الاجتماعي والحضاري، واستطاع ان يقضي على مئات اللغات في افريقيا وآسيا، واحل لغاته محلها؛ ومحاولاته ضد اللغة العربية، وكيده لها، وقائع عايشناها، وما نزال نعانيها، وان ما تتعرض له اللغة العربية اليوم هو من اثار التخريب الاستعماري، إما بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة.

فلقد حاول ان يحجب اللغة العربية عن الحياة الاجتماعية الفاعلة بصورة نهائية في بعض الاقطار، وان يحجبها عن المشاركة في الحياة المدنية الحديثة، في بعض الاقطار الاخرى، تبعا لاسلوب كل استعمار في التعامل مع المجتمعات المستعمرة. ومع ان قوة اللغة العربية الذاتية ظلت اقوى من كل اسلحة اعدائها، الا انها اصيبت بضعف لم تكد تقوم له جهود الدول العربية، بكفاية وقدرة بعد، ومن هنا تصبح تقوية اللغة العربية، وتنميتها، ضرورة قومية ودولية، وذلك يكون أول ما يكون، بتعميم استعمالها في سائر وجوه الحياة الاجتماعية والعلمية والسياسية والاقتصادية والمالية، ثم بالنظر في مناهج تعليمها في مختلف المراحل، ثم بالنظر في مناهج تعليمها في مختلف المراحل، ودراسة العوامل المختلفة ذات العلاقة، ما كان منها متصلا بالقضايا الفنية، أو كان نابعا من مصادر اجتماعية، أو اقتصادية أو سياسية، وصولا الى صيغة متكاملة للاصلاح والبناء، بما يضع اللغة العربية، والاجيال العربية في مستوى المسؤولية الحضارية والسياسية، التي يفرضها وضع الامة العربية، قوميا في مواجهة متطلبات التقدم في الحضارة التكنولوجية تحقيقا لعلمية اللغة العربية، وذلك بتعريب لغة التعليم والبحوث والانتاج في العلوم الدقيقة، مشاركة في الابداع الحضاري المعاصر، ودوليا في مواجهة الالتزامات العقدية والثقافية، تحقيقا لعالمية اللغة العربية ونشرا لها في العالم الاسلامي، ودعما لوجودها في المنظمات الدولية، والقارية، وفي المؤسسات العلمية والاكاديمية.

وهكذا يتحقق، عن طريق تقوية اللغة العربية وتنميتها، عالميتها دوليا وعلميتها قوميا.

أيها الأخوة المنتدون ...

ان منظمتكم العربية للتربية والثقافة والعلوم، اعتمادا على دستورها وعلى ميثاق الوحدة الثقافية العربية، وعلى تراثها المتمثل في مؤتمرات وزراء التربية والتعليم والمعارف، وعلى النشاط العربي الثقافي، الذي تم في اطار ادارة الثقافة في الامانة العام لجامعة الدول العربية قبل قيامها، تعتمد اللغة العربية مركزا لنشاطها، ومنطلقا الى غاياتها، ومن هنا كانت تلك السلسلة المترابطة في خدمة اللغة العربية في مختلف الميادين، من العناية بالمخطوطات العربية الى توحيد المصطلحات العلمية، الى تعريب لغة التعليم الى قضايا الترجمة والتعريب، الى نشاط نشر اللغة العربية، والحضارة العربية الاسلامية في الخارج، الى تشجيع الانتاج الادبي والفكري العربي، الى غير ذلك من عشرات المشروعات والبرامج في مختلف الاجهزة. وفي ادارة التربية يقوم برنامج دائم باسم «النهوض باللغة العربية والتربية الاسلامية في الوطن العربي» يتناول عددا من القضايا ذات العلاقة بالموضوع، ومنها تحديد مشكلات تعليم اللغة العربية وترتيب اسبقياتها، ودراسة تلك المشكلات وتحليلها في لقاءات ضمت المسؤولين والعلماء والخبراء في المجالات اللغوية والتربوية، حول اعداد معلمي اللغة العربية وحول اسس التربية الاسلامية، وتعليم القرآن الكريم للمبتدئين، وحصر البحوث والدراسات التي تمت في مجال تيسير تعليمها وخططها، وتحليل عينات من الكتب الدراسية في الكتابة والاملاء والقراءة والادب والنصوص والقواعد النحوية، وما انتهت اليه من نتائج، وهي معروضة على هذه الندوة لتصيب مزيدا من العناية بما يعين على الوصول الى الحلول الفنية والعملية. وهناك مشروع الرصيد اللغوي للمرحلة الابتدائية، وهو يضم اكثر من مليوني كلمة، منطوقة ومكتوبة، تعاون على انجازه الاساتذة والخبراء في الوطن العربي، واسهمت الدول العربية فيه اسهاما كبيرا الى جانب المؤسسات المتخصصة، وفي مقدمتها معهد اللسانيات في الجزائر، وسوف تكون في يد الدارسين والمختصين أداة من أدوات تقوية مناهج اللغة العربية في نهاية هذا العام باذن الله.

أيها الاخوة المنتدون ...

لقي الاقتراح الذي قدمه مشكورا معالي الاخ الاستاذ الدكتور عبد العزيز الخويطر، وزير المعارف، ورئيس اللجنة الوطنية السعودية للتربية والثقافة والعلوم الى المؤتمر العام للمنظمة في دورته العادية السادسة حول دراسة اسباب ضعف مناهج تعليم اللغة العربية، استجابة مستحقة في اطار اهتمامات المنظمة وبرامجها. وهكذا تجيء هذه الندوة تحقيقا لتلك الغاية التي نهدف اليها جميعا والتي يعبر عن اهميتها وجود هذه النخبة المتميزة من علمائنا وخبرائنا الذين اعطوا، وما يزالون يفعلون الكثير خدمة لهذه اللغة الشريفة، وهم الى جانب علمهم وخبرتهم وعطائهم، اهل مسؤولية اخلاقية، وحمية ثقافية وانتماء قومي، والتزام ديني، يستشعرون الواجب القريب والبعيد الملقى على عاتق ابناء الامة العربية نحو اللغة العربية.

واذا كانت الاستعانة بالوسائل التعليمية الحديثة في تعليم اللغات لاهلها، ولغير اهلها، من الامور الضرورية، فانه ينبغي النظر في جوانب خبراتنا التقليدية والانتفاع بثوابتها، وفي هذا فانه ينبغي العناية بنظام تحفيظ القرآن الكريم للاطفال، والنظر في ادماجه في مناهج التعليم، فان للقرآن الكريم اثرا تعليميا ايجابيا في تعليم العربية، وفي استقامة النطق، وسلامة الذوق الى جانب عقباه في ترسيخ العقيدة الاسلامية.

أيها الاخوة المنتدون ...

اني على ثقة، هو اليقين نفسه، انكم في همتكم، وفي علمكم، وفي مسؤوليتكم بالغون بهذا الامر غايته، فجاعلون من هذه الندوة منطلقا تاريخيا جديدا لنظام تعليم اللغة العربية التعليم الكفء.

ألا وان هذا القول قد طال، والقول يطول، اذا كان مجاله ذا سعة، ولكنه لا يبلغ هنا تمامه، الا بما بدأ به، من شكر مستحق لاهله تنويها بمن اعانوا ويسروا، واعدوا، واسهموا ونسقوا واستقبلوا، واضافوا وسيروا، مؤسسات ولجانا وخبراء وعلماء ومنظمين.

والله هو المسؤول ان يدلنا على الخير، ويعيننا على فعله، وان يتقبل اعمالنا، فهو نعم المولى ونعم النصير ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...